

## التربية الفلسفية للأطفال

## Philosophical education of children

أ.د: بومانة محمد، جامعة الجلفة، الإيميل: boumana76@yahoo.fr

د. بن الشيخ أسماء ، جامعة الجلفة ،الإيميل: bencheikh.asma16@gmail.com

تاريخ النشر: 10/ 06/ 2023

تاريخ القبول: 30/ 04/ 2023

تاريخ الاستلام: 16/ 01/ 2023

## ملخص :

اتصفت الفلسفة تاريخيا بأنها مجال معرفي يختص بدراسة المسائل الميتافيزيقية المجردة البعيدة عن عالم الظواهر المادية ، لذلك فهي مجال لا يخوض فيه إلا من امتلك عقلا تأمليا تحليليا نقديا يمكنه من النفاذ الى ما وراء الظواهر المحسوسة ، لذلك فقد نظر إلى الفلسفة على أنها من اختصاص الراشدين و ليس من هم دون ذلك ، فلا شأن للأطفال بالفلسفة و لا مقدرة لهم عليها لأنها تتجاوز مستواهم العقلي و النفسي .

و قد بدأت في كثير من دول العالم حركة فلسفية تربوية تؤمن بقدرة الأطفال الطبيعية على الولوج لعالم التفلسف ، وأن سبب وهن الأنظمة التربوية هو عدم امتلاك الأطفال المتعلمين لتفكير منطقي استدلالي عقلي يمكنهم من التفاعل السليم مع مختلف مشكلات الحياة اليومية و المعرفية ، و هو ما يمكن لدرس التفلسف أن يحققه عندما يجد طريقه للطفل .

الكلمات المفتاحية : الفلسفة ، الطفل ، الاستدلال ، التربية .

## Abstract:

Philosophy has been characterized throughout history as a field of knowledge that specializes in the study of abstract metaphysical issues that are far from the world of material phenomena. Therefore, it is a field in which only those who have a reflective, analytical, critical mind can penetrate beyond the tangible phenomena. Therefore, philosophy has been viewed as a specialty. Adults and not those without that, children have nothing to do with philosophy and they have no ability to do it because it exceeds their mental and psychological level

An educational philosophical movement has begun in many countries of the world that believes in the natural ability of children to enter the world of philosophy, and that the reason for the weakness of educational systems is the lack of educated children to logical, deductive, mental thinking that enables them to interact properly with the various problems of daily life and knowledge, which is what The lesson of philosophy can achieve when it finds its way to the child.

Keywords: philosophy, child, Inference, education.

## . مقدمة:

يعد تدريس الفلسفة للأطفال من المشاريع التربوية العالمية الواعدة ، ووجهها ناصعا من أوجه التجديد التربوي الحقيقي ، و قد بدأ نداءات تبني هذا المسعى في الانتشار و التمدد في مختلف أنحاء العالم و ذلك نظرا للاعتقاد السائد لدى مناصريه بالفائدة التربوية الجليلة التي نجنيها من وراءه ، في ظل تدني مستوى تلاميذ المدارس و عجزهم على بلورة تفكير عقلائي شخصي بعيد عن تدخل فاعلين تربويين آخرين كالمعلم مثلا .

و مثلما يزداد مؤيدو هذا المشروع ، يزداد كذلك معارضيهِ الذين ينطلقون من فكرة خاطئة مفادها أن تدريس الفلسفة للأطفال يعني تلقينهم المذاهب الفلسفية القديمة و الحديثة ، و حشو رؤوسهم بأفكار و نظريات الفلاسفة المتميزة بالتعقيد و التجريد مما لا تقبله في نظرهم طبيعة الطفل و سنه .

غير أن الحقيقة أن تدريس الفلسفة للأطفال كما هو ظاهر في أعمال و آراء دعائه لا يدعو أبدا إلى ذلك ، بل يدعو إلى فكرة تربوية نبيلة و سامية تتلخص في مساعدة الطفل على اكتساب تفكير عقلي استدلائي منطقي من خلال مناهج تربوية ملائمة تقوم على الحوار و التشويق بعيدا عما هو سائد في معظم المدارس التي يطغى عليها مناهج التلقين و الحفظ .

فتدريس الفلسفة للأطفال وفق هذا المعنى لا يتعارض من طبيعته و سنه ، بل يصبح معبرا صريحا عن ماهيته و تجسيدا تربويا حقيقيا لأهم حق من حقوقه ، و المتمثل في بلورة الحق تنمية التفكير الشخصي كما هو متعارف عليه في مختلف الشرائع السماوية و الوضعية .

تتعاطى الإنسانية الفلسفة منذ زمن بعيد ، يعود - على الأقل - إلى الحضارة اليونانية القديمة ، حيث عرفت البشرية نوعا جديدا من التفكير يقوم على العقل و يعتمد عليه في الوصول إلى فهم الظواهر الطبيعية و الإنسانية و تفسيرها ، بعدما كان لفترة طويلة من الزمن غارقا في التفسيرات الأسطورية و الخرافية اللامعقولة ، فانتقلت بذلك الإنسانية من مرحلة الميتوس إلى مرحلة اللوغوس . و منذ ذلك الزمان شقت الفلسفة طريقها في إنارة الدروب أمام العقل الإنساني المتعطش للمعرفة الحقة ، فدشت الكثير من الفتوحات الفلسفية لتنتشل الإنسانية من سذاجة الفكر العامي إلى عمق الفكر التأملي العقلي .

غير أن الفلسفة ارتبطت منذ نشأتها بفئة معينة من الناس لهم القدرة على التحليل و التأمل و التنظير العقلي العميق ، و هي خصائص لم توجد إلا عند الراشدين دون سواهم ، فلم يكن ينظر إلى الفلسفة على أنها من شأن الأطفال ، الذين كان - و لا يزال - ينظر إليهم على أنهم قصر عاجزين على تدبير أي تفكير فلسفي أو عقلي منظم.

غير أن هذه النظرة المعمرة بدأت في التلاشي شيئا فشيئا بداية من النصف الثاني من القرن الماضي ، فتلورت نظرة جديدة تؤمن بإمكانية فعل التفلسف لدى الطفل ، فالعجز لا يكمن لديه بل هو كامن فينا نحن الراشدين الذين عجزنا على إتاحة الظروف المناسبة لتنمية ما لدى الطفل من استعدادات فلسفية طبيعية فيه ، فأعدمنا فيه بفعلنا هذا ذلك الميل الفلسفي الطبيعي الكامن في كل إنسان . إنا هذه النظرة ، التي تحولت إلى مشروع حقيقي ، تعد من أبرز أوجه التجديد التربوي الهادف إلى انتشار النظم التربوية من الرداءة و القصور و وضعها على سكة التميز و الجودة .

## تاريخ مشروع الفلسفة للأطفال :

يخبرنا تاريخ الفكر الفلسفي أن الفلاسفة قد ناقشوا مسألة قابلية الطفل للتفكير الفلسفي منذ زمن بعيد يعود إلى الفلسفة اليونانية التي طرحت مسألة عمر التفلسف ، و ظل هذا السؤال مطروحا إلى غاية الفلسفة المعاصرة التي طرحت نفس السؤال ، الذي لم يتوصل إلى الإجابة عنه بشكل قطعي - كحال أغلب التساؤلات الفلسفية - نظرا للاعتقاد السائد أن الطفل أبعد ما يكون على نمط التفكير الفلسفي .

غير أنه وتبعاً لاعتبارات تربوية و سياسية عديدة تبلور بداية من النصف الثاني من القرن الماضي مشروع طموح لإتاحة الفلسفة للطفل ، وقد انطلق هذا المشروع على يد المربي **ماثيو ليبمان** في الولايات المتحدة الأمريكية - بلاد الديمقراطية و الحضارة التقنية - الذي شعر بحسه التربوي العميق بالحاجة الماسة إلى تدريس الفلسفة للأطفال في التعليم الابتدائي و ما قبله مخالفاً بذلك التقليد السائد في العالم الذي يقصر تدريس الفلسفة على مرحلتي التعليم الثانوي أو الجامعي ، أو قد يمنعها تماماً .

لم يقف الأستاذ ليبمان عند حد الدعوة النظرية إلى هذا المشروع بل كان له السبق في تجسيده العملي من خلال رواياته الست التي تستهدف تنمية الاستدلال المنطقي لدى الطفل في مختلف مراحل تعلمه ، و التي أصبحت فيما بعد المرجع الأصلي لأي مسعى مشابه في العالم .

لم يختار ليبمان لمشروعه الناشئ أسلوب الحفظ و التلقين و تقديم الدروس النظرية بل اختار أسلوباً تربوياً يليق بما يريد الوصول إليه ، و هو أسلوب القصة التي وجد فيها ليبمان الوسيلة المثلى للوصول إلى عقل الطفل ، ف" القصة هنا تعمل كأداة تعليمية فهي خير معين للكلام مع الطفل ، و خير مثير لإثارة تفكير الطفل ، و الطفل يجد تارة الألفة و التشابه بين أحداث القصة و أحداث الحياة الواقعية التي يعيشها ، و الطفل يجد تارة أخرى في القصة عالماً جديداً يمكن أن يفكر فيه من مختلف وجهات النظر .. فينظر بعد ذلك إلى العالم الواقعي نظرة جديدة " (سعاد محمد فتحي محمود ، 2004، ص122) .

و تتسم تلك الروايات بالبساطة و التشويق و التدرج في الارتقاء من مستوى إلى آخر تبعاً لسن الطفل على النحو التالي (سعاد محمد فتحي محمود ، 2004، ص136-143) :

- 1- قصتي بيكسي و كيو جاس لتلاميذ الطفولة المبكرة لتزويدهم بالمهارات اللازمة لممارسة البحث و التفكير.
- 2- قصة هاري : للصفين الخامس و السادس الابتدائي و تشمل 17 فصلاً و تهدف إلى اكتشاف مفاهيم فلسفية و تفسيرها في سياق الحوار الذي يقوم به هاري و أصدقائه .
- 3- قصة ليزا للصفين السابع و الثامن و تختص بالبحث في المشكلات الخلقية بطريقة منطقية.
- 4- قصة سوكي للصفين التاسع و العاشر و تختص بقضايا الأدب و الفن و الشعر.
- 5- قصة مارك للفرق النهائية في المرحلة الثانوية و تختص بالمشكلات المرتبطة بالمجتمع الإنساني السياسية و الاقتصادية و غيرها .

ونظرا لجرأة التجربة و جديتها و لطافتها تلقفها الكثير من المربين والفلاسفة على مستوى العالم ، فبدأت في الانتشار التدريجي - ولو كان بطيئا - خاصة في البلدان العربية التي أرادت تطبيقها في الميدان كأستراليا و النرويج و فرنسا و إيطاليا و غيرها .  
أما في البلدان العربية و الإسلامية فلا وجود لهذا المشروع ، ما عدا بعض المحاولات المحتشمة التي ظهرت مؤخرا في بعض البلدان كالسعودية و تونس التي يسعى بعض أساتذة الفلسفة فيها لوضع الأسس الأولى لفكرة تدريس الفلسفة للأطفال في جو يسوده التشكيك و الممانعة .

## ركائز المشروع :

يقوم مشروع تدريس الفلسفة للأطفال على عدد من الركائز الفلسفية و السياسية و التربوية التي جعلت منه مشروعا ممكنا بل و واجبا للنهوض بالمدرسة و المجتمع و الارتقاء بالطفل نحو أفق أفضل .

1 - التفلسف حق من حقوق الطفل : يستند مناصرو مشروع تدريس الفلسفة للأطفال على حجة دامغة تقوم على أساس أحقية الطفل في " بلورة تفكير شخصي و في المدرسة التي ترافقه في هذه السيرورة " (منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة، 2009، ص3) و بالتالي تصبح الفلسفة بوصفها تربية للتفكير حقا أساسيا يجب على الدولة و المجتمع ضمانه و حمايته مثل باقي الحقوق الأخرى ، و ليس مجرد ترف تربوي يمكن الاستغناء عنه.

2 - الاستفادة من النزعة الديمقراطية و ما صاحبها من دعوات للحوار و التواصل و حرية التفكير و التعبير، حتى أن رائد هذه النظرية لييمان يعتقد أن " المجتمع الديمقراطي يشجع ازدهار العقلانية تشجيعا أقصى ، و لهذا ينبغي أن يكون هدف التربية تنمية أفراد عقلانيين " (ماثيو لييمان، 1998، ص103)

3 - الثورة على التربية الكلاسيكية : يستند مشروع تدريس الفلسفة للأطفال على ما حدث من ثورة تربوية على مسلمات التربية القديمة ، خاصة فيما يتعلق بمنهج التدريس ، والتأكيد على أهمية التعلم الذاتي و هو ما يتطلب جعل الطفل محور العملية التعليمية ، و تمثل هذا الاتجاه خاصة في أعمال فلاسفة التربية الحديثة و بالأخص جون ديوي صاحب الثورة الكوبرنيكية في التربية و صاحب التأثير القوي في ماثيو لييمان رائد مشروع تدريس الفلسفة للأطفال .

4 - أزمة المدرسة الحديثة : فهي مدرسة لا تساعد على تربية التفكير بل تقمعه و تعدمه بإتباعها أساليب جافة مختلفة عما عهده الطفل في أسرته من حيوية و نشاط حر حيث يكون محاطا " بعالم إشكالي بما في الكلمة من معنى ، عالم كل شيء فيه يثير فيه التقصي و التساؤل التأملي ، عالم مثير للفكر كما هو مثير للعجب و محرض على العمل " (ماثيو لييمان، 1998، ص19)

و قد استشعر ماثيو لييمان بحسه التربوي العميق هذه الأزمة ، و نبه إلى خطورتها على الطفل و بالتالي على المجتمع ككل ، ف " التعلم في المدرسة موهن و مثبط للهمم بدلا من أن يكون منشطا و مثيرا للذهن " (ماثيو لييمان، 1998، ص20)

5 - منجزات العلوم الاجتماعية الحديثة و خاصة علم النفس المعرفي النمائي و الاجتماعي كأعمال بياجيه مثلا .

## عوائق المشروع :

يعود التعثر الذي يشهده هذا المشروع الطموح في العالم إلى عدد من الصعوبات نذكر منها :

1. قلة التحمس له لدى السلطات السياسية و التربوية عموما بدعوى خوفهم على الأطفال من الولوج لعالم أكبر من مستواهم النفسي و العقلي مما قد يؤثر سلبا عليهم ، و قد يكون دافعهم الأساسي الخوف من تنامي التزعة النقدية لدى الأطفال خاصة في الأنظمة الديكتاتورية المحافظة .
2. تخوف الأولياء من هكذا موضوع لاعتقادهم أن أبنائهم يحتاجون في هذه المرحلة من أعمارهم إلى توجيه و رعاية و إعداد يراعي براءتهم و صغر سنهم و ليس إلى غط تعليم عقلي يرهق طفولتهم و يشوش تفكيرهم.
3. النظرة العامة لعالم الطفل، و التي لم تتغير منذ القديم — باعتباره قاصرا و كائنا في طور النمو المستمر ، لذلك فإن تدريس الفلسفة له لا يتناسب مع مرحلته العمرية ، خاصة تلميذ الطور الابتدائي و المتوسط .
- و قد رد أنصار تدريس الفلسفة للأطفال على هذه النظرة البائسة ، بأن " الفلسفة في زيتها التقليدي الساعي للحكمة لا بد و أن تعلم في سنوات التكون ، أما ما بعد ذلك ، فسوف يكون قد فات الأوان " (ماثيو ليبمان، 1998، ص281)
4. و مما زاد الأمر تعقيدا الخلافات السائدة بين الفلاسفة أنفسهم حول إشكالية عمر الفيلسوف بين مؤيد لفيلسوف الأطفال ( أبيقور ، كارل ياسبرس ، ميشيل أونفري ) و معارض له ( أفلاطون ، كانط ، ديكارت )
5. النظرة العامة للفلسفة على أنها مجال معرفي يستعصي حتى على الكبار فما بالك بالصغار .
6. هناك بعض الصعوبات التي يواجهها هذا المشروع من داخل عالم المشتغلين بالفلسفة أنفسهم ، و قد أشار إلى ذلك ميشال توزي عندما أكد أن " الفلاسفة ، المعترف بهم من طرف الجماعة العلمية ، أو مختلف مباريات التوظيف و ممثلي مؤسسات التدريس الجامعي ، يتخذون موقف من الشرعية التي من الممكن أن تمنح وجهة نظر داخلية حول التخصص ، تظل موافقهم أصيلة و تظل معادية إلى حد كبير : إن المقاهي الفلسفية لا تعدو أن تكون مقاهي تجارية للوثوقية و السفسةطة ، و الفلسفة بالمدارس الابتدائية بدورها تظل ديماغوجية بيداغوجية ، تستخدم عن جهل في الإساءة إلى متطلبات التخصص نفسها " (ميشال توزي، 2016، ص326)
- 7 - هناك بعض الصعوبات تتعلق بتحديد و ضبط الهدف المنشود ، فهناك مثلا من يعترض على عبارة "الفلسفة من أجل الأطفال " لأنها ذات مضمون أبوي ، و يقترح عبارة " الفلسفة مع الأطفال " لواقعها التربوي (منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة، 2009، ص5)

## منهج تدريس الفلسفة للأطفال :

تحتاج الفلسفة كغيرها من المجالات المعرفية الأخرى إلى منهج ملائم لتدريسها و تقريبها إلى متعلميها ، حتى و إن البعض يعترض على مسألة أن يكون للفلسفة تعليمية خاصة بها ، لأن الفلسفة في نظرهم لا تعلم بالشكل المتداول للتعليم ، بل هي أقرب ما يكون إلى المزاج أو الميل .

و يزداد الأمر صعوبة عندما تكون الفئة المستهدفة هي الأطفال الذين لا يزالون في المراحل الأولى لنموهم و تشكل شخصيتهم ، و هو ما يتطلب منهجية خاصة تراعي خصائص الطفل الجسدية و النفسية و العقلية الهشة .  
و من هذا المنطلق وضع دعاة تدريس الفلسفة للطفل مجموعة من الضوابط و الأسس لأي ممارسة فلسفية بيداغوجية تستهدف الطفل ، و منها :

**1- مسلمة العمل على تدريس الفلسفة للأطفال (ميشيل توزي، 2016، ص339)** فيجب الانطلاق من هذا المبدأ و الاعتقاد بأن الطفل قابل للتربية الفلسفية الملائمة لمتطلبات سنه حتى يتسنى للمعلم توفير المناخ الملائم لذلك و دفع الأطفال إلى التفلسف الذاتي ، و بدون رسوخ هذا الاعتقاد يصبح تدريس الفلسفة للأطفال تجربة فاشلة على غرار كثير من التجارب التربوية الفاشلة الأخرى .

**2- المدخل البيداغوجي الشفهي (ميشيل توزي، 2016، ص339)** ، بمعنى الابتعاد قدر الإمكان عن أساليب الحفظ و التلقين المنتشرة في مدارسنا ، و الاعتماد على الأساليب الحوارية المشوقة و الجاذبة لانتباه الطفل ، لذلك اختار ماثيو ليمان القصة كأسلوب لتجربته الفلسفية مع الأطفال لأن " القصة يمكن أن تفيد كنموذج للمناقشة الهامة ذات المغزى و المعنى للطفل ، كما يمكن أن تفيد كنموذج لعملية اكتشاف قوانين التفكير و علاقة هذه القوانين بالمسائل المعيشية التي تهم الطفل في حياته " (سعاد محمد فتحي محمود ، 2004، ص 124)

**3- الانسحاب النسبي للمدرس من الواجهة (ميشيل توزي، 2016، ص339)** ، لأن الغاية الاسمي لتدريس الفلسفة للأطفال هي تعلم التفكير المنطقي العقلائي الذاتي ، و هو ما يتطلب ممارسة بيداغوجية قائمة على إتاحة الفرصة للمتعلم على بناء أفكاره و تحصيل معارفه بطريقة ذاتية دون الاستناد الكلي على ما يقدمه المعلم ، الذي ينبغي أن تقتصر مهمته على التوجيه و توفير الظروف الملائمة لممارسة فعل التفكير ، لذلك يشيد كثير من الدارسين و المربين اليوم بطريقة الحوار السقراطي و كل الأساليب الحوارية الأخرى .

و لا يطلب أنصار هذا المشروع الإبعاد الكلي للمعلم عن المشهد التربوي التعليمي ، لأن هذا قهور ، بل يؤكدون على أهميته و على ضرورة امتلاكه لعدد من المؤهلات و الكفايات التي تجعله قادرة على ممارسة دوره في توفير الجو الملائم لتلاميذه حتى يتسنى لهم الإمساك بناصية التفكير الذاتي .

**4- مراعاة تساؤلات المتعلمين و أهمية التعبير الشفهي عنها و نقل الأجوبة (ميشيل توزي، 2016، ص339)** ، فالتربية الفلسفية للطفل تنطلق منه و تنتهي عنده ، فعوضاً أن نقدم له أفكاراً جاهزة علينا أن نطلق من تساؤلاته البسيطة التي تحتوي في جوهرها على مضامين فلسفية و السعي إلى تنميتها ، و قد أشار العديد من الفلاسفة على غرار كارل ياسبرس إلى امتلاك الطفل لاستعداد طبيعي للتفلسف ، سيضمحل ويتلاشى إذا لم يتعهده الكبار بالرعاية و التوجيه السليم ، و هو ما يحدث عادة في المدارس التي تتبع أساليب التلقين و الحفظ ، و تراهن على كم المعلومات و المعارف بدلاً من نوعيتها و كيفية الوصول إليها و مدى ملائمتها للحياة الواقعية للمتعلم .

وانطلاقاً من هذا المبدأ يمكن الاستناد إلى كل الأسئلة التي تحمل طابع الإحراج الفلسفي التي تحمل إجابات متعددة و أو حتى متناقضة لتنمية روح الأسئلة و التجريد و التعميم و الاستناد كذلك إلى توظيف المأزق الأخلاقية التي يتعرض لها الطفل لإثارة التفكير التأملية فيه (منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة، 2009، ص19، 18)

5- يجب الانطلاق من فكرة أساسية و هي أن الغرض من تدريس الفلسفة للأطفال ليس تلقينهم المدارس و المذاهب الفلسفية الكبرى التي ظهرت على مر التاريخ ، فهذه إبادة للروح الفلسفية للطفل وإلحاق للضرر به ، بل الأصح أن نعلمه التفلسف كتفكير عقلائي منظم يمكنه من مواجهة مشكلات الحياة الواقعية بطريقة سليمة و فعالة.

6 - الاستناد إلى العمل الجماعي ، لذلك دعا ماثيو ليمان إلى تحويل الأقسام الدراسية إلى مجتمعات للتقصي " حيث يصغي التلاميذ بعضهم إلى بعض باحترام ، يبنون على أفكار بعضهم بعضا ، يتحدون بعضهم بعضا في تقديم أسباب لتعزيز أفكار تكون بدون هذا الدعم لا قيمة لها ، يساعدون بعضهم بعضا في استخلاص النتائج مما يقال و يسعون إلى تحديد افتراضات بعضهم بعضا و تمييزها " (ماثيو ليمان، 1998، ص28)

لذلك انتشرت الدعوات للتخلي عن الطريقة التقليدية في التدريس القائمة على أساس الحفظ و التلقين و النظام الصارم إلى أساليب يسودها النقاش و الحوار مثل الورشات الفلسفية و المقاهي الفلسفية و نوادي اليونيسكو و غيرها .

### أهداف تدريس الفلسفة للأطفال :

- الفلسفة من أجل الأطفال هي مشروع كبير طموح يسعى إلى أهداف إنسانية سامية ، منها :
- حدد رائد مشروع الفلسفة الموجهة للأطفال " ماثيو ليمان " هدفه الأسمى في سد ثغرة كبيرة في النظام التربوي الأمريكي ، استشعرها بحسه التربوي العميق من خلال تدريسه للمنطق في التعليم الثانوي و كذا من خلال ما لمسها عند أبنائه في المدرسة الابتدائية ، و تتمثل هذه الثغرة في النقص الفادح في امتلاك الأطفال لمبادئ التفكير العقلي المنطقي ، و هو ما يؤثر على مستواهم العقلي و نوعية تحصيلهم المعرفي الذي يتلاشى بسرعة ، لذلك كان لابد من استدراك الأمر و تعويد الأطفال على ممارسة الاستدلال ، و " الفلسفة وحدها القادرة تمكننا من إنجاز ذلك فعليا " (حنيفي جميلة، 2016، ص195).
- تمكين الأطفال من تربية فلسفية من خلال اكتسابهم للروح الفلسفية و ما تتضمنه من خصائص نبيلة كحب الحقيقة و النزاهة و الشك و التساؤل الدائم و النقد و الابتعاد عن مظاهر التعصب و الأحكام الجاهزة .

وهذه الروح الفلسفية لا توجد جاهزة و " لا تصنع بقرار ، فهي نتاج عملية تربية طويلة الأمد ترسخ من خلالها أسلوبا من التعامل مع المحتوى التعليمي و مع الذات و الآخرين و الكون .. " (سعاد محمد فتحي محمود، 2004، ص67)

- كما حددت دراسة لليونسكو رهانات هذا المشروع في ما يلي :

-تنمية التفكير الذاتي لدى الطفل .

- التربية على المواطنة الديمقراطية الواعية القائمة على أساس الفكر النقدي و الحوار الفكري .
- مساعدة الطفل على النمو السليم و الاندماج الصحيح في دائرة الإنسانية .
- تنمية القدرات اللغوية للطفل من خلال أسلوب النقاش و الخطاب الشفوي .
- مفهومة التفلسف و ضبطه .
- بناء تعليمية للفلسفة قائمة على أساس تنمية التفكير و الحوار مختلفة عن التعليمات الكلاسيكية الإلقائية (منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة، 2009، ص16، 15)

### مسعى مؤسسة تدريس الفلسفة للأطفال :

ارتبطت الفلسفة عبر التاريخ بتلك الجهود الذاتية التي بذلها الفلاسفة لفهم العالم و الكون و الإنسان ، فقدموا للإنسانية تراثا زاخرا بمختلف الصروح الفلسفية الشامخة التي تشهد على محاولات العقل الإنساني لتجاوز التفسيرات اللاعقلية المتعددة . كما ارتبط تدريس الفلسفة منذ القدم بالتعليم الجامعي ، حيث كان العديد من الفلاسفة يقدمون المحاضرات و المؤلفات للجماهير المتعطشة للمعرفة و المحبة للحكمة ، زيادة على بعض المدارس و المؤسسات التعليمية التي أنشأها الفلاسفة القدامى كالأكاديمية عند أفلاطون و الليسيوم عند أرسطو .

و حدث أول تغيير في تدريس الفلسفة على مستوى العالم في فرنسا حيث تم إدراج الفلسفة في السنة النهائية من التعليم الثانوي منذ بداية القرن التاسع عشر و بمعدل مقبول جدا من الحصص الأسبوعية ، لتنتشر الفلسفة بعد ذلك في التعليم الثانوي في العديد من دول العالم .

أما بالنسبة لتدريس الفلسفة للأطفال في الأطوار الأولى من التعليم فلا يزال - نظرا للاعتبارات السابقة - مجرد محاولات محتشمة يطغى عليها الطابع الفردي و المؤقت و الارتجالي في كثير من الأحيان ، و ينقصها التنظيم و التنسيق و ينظر لها بعين الشك و الريبة من قبل المسؤولين و الحكومات ، لذلك " نادرا ما يضاف الطابع المؤسسي على الممارسات ذات المقصد الفلسفي داخل الأنظمة التربوية ... تكتسي هذه الممارسات طابع تحديد غير مؤسسي ... و قد يبدو التجديد بمثابة تشويش إذا ما نظرنا إليه انطلاقا من أفق مركزي يؤدي إلى نزعة محافظة " (منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة، 2009، ص16).

و على الرغم من جميع تلك العقبات الكأداء ، واصل المشروع طريقه بثبات و استطاع أن يحظى باهتمام و دعم هيئات عالمية كبيرة كاليونسكو مثلا التي دعت منذ تسعينيات القرن الماضي دول العالم إلى ضرورة تقديم المبادئ الفلسفية للأطفال بلغة و طريقة ملائمة لسنهم .

إن الاعتماد على المدرسة و الاستفادة مما تتيحه من فرص و نقل هذه الممارسة الفلسفية الجديدة إلى الإطار المؤسساتي أمر مهم جدا ، لأن " المؤسسة ذات قيمة كبرى و هي الطريق التي ارتادها أو سيرتادها عدد من البلدان ، تلك هي الفائدة المرتبطة بالطابع الإجباري للمدرسة الابتدائية ، فهناك يستطيع كل الأطفال إيجاد مكان يطرحون فيه أسئلتهم الرئيسية ، و يستطيعون ملامسة مبكرة للفكر الفلسفي ، و اكتساب فكر شاغله البحث و دافعه حس البحث عن الحقيقة و الرغبة في



الوصول إليها ، و هناك أيضا يستطيعون اكتساب الأدوات النقدية الضرورية كأفراد لكي يفهموا و يواجهوا الحياة و كمواطنين بغاية تنمية الحوار الجماعي و تعزيز الديمقراطية و مقاومة الدعايات الكاذبة "(منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة ، 2009، ص14، 13)

و قد ظهرت المحاولات الأولى لتحسيد هذا المسعى على يد المربي ماثيو ليبمان في الولايات المتحدة الأمريكية ، الذي عمل على إقناع المجتمع العلمي و التربوي بجدوى إدخال الفلسفة في مراحل التعليم الأولى و الابتدائي ( يعرف مشروعه اختصارا ب p4c ) لتنتشر بعد ذلك في عدد من الدول الغربية كأستراليا ( 1975 ) و النمسا و فرنسا و النرويج (2005) و غيرها من الدول الأمريكية و الأوروبية و الآسيوية .

بالإضافة إلى العمل الدؤوب على إدماج الفلسفة داخل التعليم الابتدائي تم إنشاء عدد من المعاهد المتخصصة في البحث عن سبل تدريس الفلسفة للأطفال مثل :

معهد تطوير الفلسفة للأطفال ( IAPC ) تم تأسيسه عام 1974 في جامعة مونتكلير ستيت

المجمع العالمي للبحث الفلسفي مع الأطفال ICPIC تأسس في الدنمارك علم 1975

و يبدي أنصار تدريس الفلسفة للأطفال الكثير من المرونة البيداغوجية من أجل تحسيد المشروع و إزالة بعض المخاوف لدى المسؤولين التربويين الرسميين ، فهم لا يقترحون شكلا واحدا لذلك بل يشجعون على الحرية في اختيار الأساليب المناسبة ، و من أشكال كتلك المرونة نذكر ما يلي :

-إمكانية تدريس الفلسفة للأطفال على شكل منهاج مستقل خاص للتفكير الفلسفي - و هي الطريقة المثلى أو من خلال باقي المواد و المجالات المعرفية الموجودة .

-يمكن اختيار حيز زمني أسبوعي محدد و دائم ملائم لسن الطفل من خلال ورشات فلسفية .

-يمكن للبلدان تعليم التفلسف للأطفال في كامل المناطق أو في منطقة محددة مثلما يجرى الان في كثير من التجارب الرائدة .

-يمكن أيضا إرساء مبادرات وسيطة كأندية الفلسفة لصالح التلاميذ و المهتمين و المتطوعين داخل المدارس و تنظيم نقاشات

فلسفية داخل إطار أندية اليونيسكو(منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة ، 2009، ص17)

. خاتمة:

-لاشك أن مشروع تدريس الفلسفة للأطفال هو مشروع طموح يسعى للارتقاء بالإنسان و المجتمع ، رغم اصطدامه بالكثير من العقبات و العراقيل التي ينظر أصحابها للطفل ككائن قاصر و عاجز عن التفكير و التفلسف ، متجاهلين نزعتهم الطبيعية للتساؤل و التأمل و طرح الإشكاليات المخرجة .

-لا يزال هذا المشروع يعاني من ضبابية و غموض يستدعي بذل جهود معتبرة من قبل الداعمين له لتوضيحه و تقديمه في شكل بيداغوجي مقبول لدى المجتمع التربوي بكل أطيافه .

-إن نجاح هذا المشروع يتطلب تفهم المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالأسرة و الشارع و الإعلام و مختلف الفضاءات الثقافية له و اشتراكها في تجسيده .

-أما في عالمنا العربي الإسلامي فلا يبدو أن هناك عمل واضح من أجل إدماج الفلسفة و تقريرها من الأطفال ماعدا بعض المحاولات الفردية النادرة ، و هو أمر يدعو إلى الأسف ، و نتمنى تداركه في أقرب وقت ، و هو نلمس بوادره الأولى في تنظيم عدد من المؤتمرات و الندوات و النشاطات المرتبطة بالموضوع .

- على دعاة هذا المشروع في العالم العربي أن يتجاوزوا مرحلة الدعوة اللفظية والحماس العاطفي الى مرحلة العمل و النضال من أجل دحض الأحكام المسبقة و تجسيده ميدانيا من خلال القيام بإعداد خطط و برامج تربوية مضبوطة موجهة للتلاميذ في مختلف المراحل التعليمية مثلما فعل رائد المشروع لييمان .

### قائمة المراجع:

-سعاد محمد فتحي محمود : اتجاهات حديثة في تطوير مناهج الفلسفة و تدريس الفلسفة للأطفال ، القاهرة ، ايتراك للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، 2004

- ماثيو لييمان : المدرسة و تربية الفكر ، ترجمة ابراهيم يحيى الشهابي ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، 1998 .

- ميشيل توزي: فلسفة التربية و تربية الطفل على الفلسفة ، ترجمة محمد الادريسي ، رشيد المشهور ، مجلة نقد وتنوير ، العدد الرابع ، الفصل منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة : الفلسفة مدرسة للحرية ، 2009

- حنيفي جميلة : الفلسفة في المنهج التعليمي حديث مع ماثيو لييمان مؤسس الفلسفة من اجل الاطفال ، مجلة تطوير جامعة سعيدي ، العدد الثالث ، ماي 2016 ، ص 195

الأول ، السنة الثانية ، مارس 2016-